المؤرخة البيزنطية أنّا كومنينا (١٠٨٣-١١٣٧م) والحملة الصليبية الأولى

The Byzantine Historian Anna Komenen (1083-1137) and The First Crusade

الباحثة: ثورة خطاب علي

Researcher: Thawra Khattab Ali

جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الإنسانية

Tikrit University / College of Education for Humanities

E-mail: nooralden.f.i@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: التكوينات الجيولوجية، المناخ، التربة، المواد الصلبة الكلية الذائبة، اللون والطعم والشفافية.

Keywords: Geological formations, Climate, Soil, Total Dissol Solids (TDS), Color, Taste an Transparency.

الملخص

كتبت الأميرة البيزنطية آنا كومنينا (١٠٨٣-١١٣٨) سيرة تاريخية عن والدها الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس، مؤسس سلالة كومنينوس. يعطي كتابها (الشياد) وصفاً حياً لحكم وشخصية الإمبراطور. أحد الفصول الرئيسية في هذا الكتاب يتعلق بالحملة الصليبية الأولى. في الواقع كانت آنا شاهدة عيان على حركة الجيوش الغربية ودور والدها في التعامل مع التحدي الهائل.

تمكن هذا البحث من تقديم دراسة تحليلية ومقارنة لرواية آنا للحملة الصليبية الأولى. تكمن أهميتها في مسح المنظور البيزنطي. لقرون، النظرة الغربية للحملة الصليبية، التي رسمها المؤرخون الصليبيون مثل فولشر أوف تشارتر وريموند أوف أجيلرز وجيستا فرانكورم للمؤرخ المجهول. قسم البحث إلى أربعة أجزاء:

١-مسيرة جيوش الصليبيين من غرب أوروبا نحو القسطنطينية. ٢- مفاوضة الكسيوس والقادة الصليبيين. ٣- مسيرة آسيا الصغرى. ٤- حصار أنطاكية واحتلالها.

أخيرًا، نختتم ببعض النتائج مثل، أن آنا تعطينا تصحيحًا مفيدًا للغاية لوجهة النظر السائدة للمؤرخين الصليبيين. من ناحية أخرى، على الرغم من أنها قالت إن روايتها عادلة وبدون تحيز، فمن الواضح أن روايتها تهدف إلى الدفاع عن أفعال والدها لدرجة أنها تضع أعداءه مثل بوهيموند الأول في منظور شديد السواد.

Abstract

The Byzantine princess Anna Komenena(1083-1138) wrote a historical biography about her father the emperor Alexios I Komnenos, the founder of Komnenos dynasty. Her book (Alxiad) give a vivid account for the rule and character of the emperor. One of the main chapters of this book is that related with the first crusade; in fact Anna was an eye-witness for the movement of the western armies and the role of her father in dealing with tremendous challenge.

This research manage to give an analytical and comparative study of the Anna s narrative of the first crusade. Her importance lies in surveying the Byzantine perspective. For centuries the western view of the crusade, which drawn by crusading historians like Fulcher of Charter, Raymond of Agilers and the Gesta Francorum by the Anonymous historian. The research divided into four parts:

1-The march of the Crusading armies from western Europe towards Constantople,2- The negotiation between Alxious and the crusading leaders, 3-The march through Asia minor, 4-The siege of Antioch and its occupation.

Lastly, we conclude with some results like, that Anna give us a very useful corrective for the dominant view of the crusading historians. On the other hand, although she said that her narrative is fair and with no bias, her narrative are obviously aims to defend her father's acts to an extent that she put his enemies like Bohemond I in very black perspective.

المقدمة

كان للبيزنطيين حضـور فاعل على امتداد المواجهة التي وقعت بين الشـرق والغرب في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، والتي عرفت بالحروب الصـليبية، فكانوا مشـاركين في هذه الحروب منذ بدايتها وحتى مراحلها الاخيرة؛ بدأوا مسـتنجدين بالغرب في مواجهة الطوفان السـلجوقي الذي اجتاح ممتلكاتهم في آسـيا الصـغرى ووصـل الى اطراف عاصمتهم، ثم اصبحوا حلفاء وشركاء في العمليات العسكرية ضد المسلمين، ومن بعدها اكتووا بنار الصـليبيين عندما حولت الحملة الصـليبية الرابعة عام ١٢٠٤ م مسـارها صـوب القسـطنطينية واحتلتها، ودمرت هذه العاصـمة العريقة ونهبتها. وبالمقابل فإن صـورة البيزنطيين كانت دائما سلبية في نظر الاوربيين، وغالبا ما كان المؤرخون الاوربيون، منذ التدوينات الصليبية المبكرة وحتى تاريخ قريب، ينظرون الى البيزنطيين بطابع من العداء والكراهية. وقد ترسـخت هذه الصـورة بفعل هيمنة المصـادر الغربية، بينما بقيت وجهة النظر البيزنطية الخاصـة بأحداث الحملات الصـليبية غائبة لمراحل طويلة، فقد أغفلت الكتابات التاريخية البيزنطية ولم يجر الاعتماد عليها من قبل المؤرخين الاوربيين، الذين اكتفوا بالاستناد الى المصادر الصليبية الغربية وتجاهلوا غيرها من المصادر.

وأشـهر الشـهادات البيزنطية على المرحلة المبكرة من الحروب الصـليبية ما قدمته الاميرة أنّا كومنينا ابنة الامبراطور البيزنطي الكسـيوس كومنين، فقد كتبت كتاباً ارخت فيه لسـيرة والدها الامبراطور اشتق من اسمه وهو (الكسياد)، وتناولت فيه –ضمن عرضها لهذه السيرة– جانباً من صلة بيزنطة بالحروب الصليبية وتحديدا الدور البيزنطي في الحملة الصليبية الاولى.

وفي هذا البحث سيصار الى مناقشة رواية أنّا كومنينا لحوادث هذه الحملة، ومقارنتها بما ذكرته المصـادر الاخرى التي تناولت الموضوع من قبيل المصـادر الصـليبية والعربية المعاصـرة. وتبيان درجة الاتفاق او الاختلاف بين هذه الروايات ومعرفة قيمة الاضـافة التي قدمتها هذه الاميرة –المؤرخة قدر تعلق الأمر بالحملة الصـليبية الاولى، لاسـيما وانها تكتب وهي ابنة الامبراطور البيزنطي. وكانت شـاهدة عيان على الاحداث. وأمكنها الاتصـال بالاشـخاص الذين رافقوا والدها واسهموا في صنع هذه الاحداث او كانوا شهودا عليها. والمسألة الاساسية هي مدى التزامها بالحقيقة التاريخية وهل دفعها حبها لوالدها وايمانها العميق بمكانته وشـخصـه الى تجاهل الحقيقة التاريخية او اغفالها عن عمد. وقد قسـم البحث زمنيا، اسـتنادا على محطات روايتها للحملة الاولى، التي تنتهي بمغادرة الصليبيين لانطاكيا في تموز عام ١٠٩٨م، ويوضح ذلك انها عنيت بالمقام الاول بما يرتبط بسـيرة والدها، وكلما ابتعدت الرواية عن ذلك قل اهتمامها وتناثرت معلوماتها.

الأميرة أنّا كومنينا وكتابها الكسياد

ولدت الاميرة أنّا كومنينا في عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م في القصـــر الامبراطوري، عندما كان والدها امبراطوراً. وهي الابنة الكبرى لوالديها الكســـيوس وايرين دوكاس.(١) وحظيت البنت بأرفع رعاية وتلقت تعليما راقياً بمعايير ذلك العصـــر، اذ يســـتشـــف من كتابها دراية واســـعة بالتراث الاغريقي من ادب وفلسفة وتاريخ،(٢) فضـلا عن معرفتها بالطب عندما تتحدث عن مرض ابيها ومشـاركتها في تطبيبه.(٣) ومن جانب آخر فقد امتلكت ثقافة دينية مسـيحية عالية بحكم تدينها، فيظهر من كتابها اقتباسات من الكتب المقدسة، وايمان بالدور الالهي في حركة التاريخ.(٤)

وقد خططت الاســـرة لأن تتولى أنّا عرش الامبراطورية بعد والدها لاســـيما بعد أن رزق الامبراطور بعدها بابنتين، الا ان هذا الوضـــع لم يبق على حاله، إذ ولد لالكســيوس ابن في عام ١٠٨٧م، اي بعد ولادتها بأربع سنوات اطلق عليه اسم يوحنا، فتحولت انظار الإمبراطور صـوب تولية ابنه ولاية العهد.(٥)

وتزوجت أنّا فيما بعد من شـخصـية مرموقة من شـخصـيات البلاط البيزنطي هو نفقور برينيس، الذي كتبت في مقدمتها عنه تقريضا يعبر عن شعور المحبة العميق الذي حملته تجاهه، بما يعبر عن مشاعرها الجياشة عند وفاته بقولها:

" حين اصـل الى هذه النقطة يشرد مني العقل كما تغرورق عيناي بالدموع الهتون... فقد كانت الخســارة فيه فادحة إذ كان كل ما فيه يتفجر بالجمال كما كان هو ذاته يتمتع بقســط وافر من سمو الجاه يقصر عن إدراك مثله أي انسان آخر، وكان كما قال البعض جديرا بهذا السمو، حريا بتلك العظمة... إن فجيعتي القاسية في قيصـري وموته المبكر الذي لم أكن اتوقعه تركا في نفسي جرحا عميقا لا يندمل مس شغاف قلبي وزلزل كياني وهز وجودي، وإني لأعتبر كل مآسي الماضي- إن قيست بهذا الخطب- أشبه بقطرة ماء في المحيط ."(٦)

وطوال حكم والدها كانت أنّا تتمتع بمنزلة كبيرة. وهناك من يشـير بأنها تآمرت لاسـتلام الحكم بعد وفاته عام ١١١٨م. وان زوجها رفض ذلك وتولى اخوها يوحنا عرش الامبراطورية، ثم ابعدت أنّا الى احد الاديرة. ومكثت هنـاك مـا تبقى من عمر وكتبـت فيـه كتـابهـا الشـــهير (الكسياد).(٧)

كتاب الكسياد

يعد كتاب الكســـياد من الكتب التاريخية النادرة، ففضـــلا عن أنه من الكتب القليلة التي خطتها انامل امرأة في العصـور الوسـطى، فهو ليس مجرد كتاب تاريخي وحسـب وانما هو نتاج اميرة من كبريات الاميرات البيزنطيات تمتعت بثقافة عالية كما سـلف فضـــلا عن اطلاعها على الاراشيف والوثائق الرسمية،(٨) وامكانية حصولها على المعلومات من شهود العيان الذين صنعوا

الاحداث.(٩) وما يكسب الكتاب اهمية مضاعفة هو أنه ارخ لحقبة مهمة من التاريخ البيزنطي والاوربي والشرقي الوسيط، الذي تلاقت فيه هذه الامم فيما يعرف بالحملة الصليبية الاولى، فكانت أنّا احد أهم من أضاء الجهة البيزنطية في تلك الحوادث المتشابكة،(١٠) والتي ارخ لها شهود عيان من الجانب الصليبي، ومن الجانب الاسلامي وكذلك من الجانب المسيحي الشرقي. فمع أن أنّا لم تكن مؤرخة للحروب الصليبية ولم تكرس كتابها لتناول هذه الحملات وانما هو عرض لسيرة والدها السياسية والعسكرية، فان سيرة والدها– كما نعرف– تتقاطع مع الحروب الصليبية حتى وفاته عام ١١١٨م.(١١) وانها قدمت روايات مهمة تتعلق بالحملة الاولى ومسيرها من غرب اوربا ووصولها القسطنطينية ثم عبورها الى في اسيا الصغرى وحصار انطاكيا والاستيلاء عليها. وكما ذكر المؤرخ باركر فان اهمية كتاب أنّا تكمن بانها قامت بتصويب ما جاء في المصادر الاوربية الغربية من التعصب ضد الكسيوس.(١٢)

دوافع تأليف الكتاب

من المفهوم ان كتاب الكسياد هو تأريخ لسيرة الامبراطور الكسيوس كومنين بقلم ابنته الاميرة أنّا، وتقول المؤرخة في تعليل تأليف كتابها انها ارادت أن تحفظ انجازات ابيها من أن تطويها لجة الزمان الى المجهول،(١٣) فأخذت على عاتقها تدوين أعمال والدها "كاملة غير منقوصة كي لا تحرم الاجيال التالية من الوقوف عليها".(١٤)

الا انها تعلل ظروف تأليف كتابها هو أن زوجها نفقور قد تصدى لكتابة عمل يؤرخ لوالدها الامبراطور الكسيوس، لكنه توفى بعد ان كتب المقدمات التي استغرقت منه وقتا طويلا، فوجدت إن واجبها أن تكمل عمله حسب قولها:

"حالت الظروف بينه[زوجها] وبين المضي قدما فيه، اذ توقف عن متابعة الكتابة... وكان هذا ايضا هو السبب الذي حملني على أن اخذ على عاتقي تدوين اعمال ابي كاملة غير منقوصة كي لا تحرم الاجيال القادمة من الوقوف عليها".(١٥)

والشغل الشاغل الذي أرق هذه الاميرة البيزنطية هو وعيها بالنقد الذي سيتعرض له الكتاب في كونها ستكتب مديحا وتقريضا لوالدها عوضاً عن التزامها الحقيقة التاريخية، فترد على ذلك قائلة:

" إنه ينبغي على المرء – حين يقوم بدور المؤرخ – أن ينحي جانبا كلا من الصداقة والخصومة. وأن يتناساهما تماما وعليه ان يضفي على الخصوم الثناء العطر ان كانت اعمالهم جديرة بها الثناء.. فالواجب على المؤرخ – كما تقول– الا ينكس على عقبيه من لوم اصدقائه كما أن عليه أن لا يتغافل من مدح خصومه."(١٦) لكن ذلك الزعم – كما سنرى– لن يستقيم عندما نجدها في مواضع مختلفة من كتابها تنحاز الى صف والدها على حساب الحقيقة التاريخية.

تقسيمات الكتاب:

قسمت أنّا كتابها الى ١٥ قسماً، حمل كل قسم تسمية كتاب كذلك. وقسمت كل كتاب الى مجموعة من المداخل، بدأته بمقدمة بينت فيها دوافعها في تأليفه وعلاقتها بأبيها وزوجها وبقية افراد اسرتها.(١٧) واللافت انها تخصص الكتاب الاول للحديث عن نشاطات ابيها العسكرية في ظل حكم الاباطرة رومانوس ديوجينس واسحاق دوكاس، لكنها تعود في الكتاب الثاني للحديث عن نشأة والدها الاولى ودور عمّيها مانويل واسحاق العسكري قبل والدها في خدمة الامبراطورية.(١٨) وتتبع في كتابها بعد ذلك العرض الزمني للحوادث، فتعرض الظروف والمؤامرات السياسية والصدامات العسكرية التي صيرت والدها امبراطوراً. وتصف الوضع الذي كانت عليه الامبراطورية في تلك الاثناء بأنها كانت على وشك ان تلفظ انفاسها الاخيرة.(١٩) وفي موضع آخر تقول نقلا عن بعض المسنين الذين عاصروا تلك الحوادث ان الدولة البيزنطية كانت قد وصلت عندما تولى الكسيوس الامبراطورية الى الحضيض، وان الظروف التي رافقت استلامه الحكم كانت تبعث على الأسى واليأس، لكنه شجاعته وخبرته بالحرب جعلته يقود امبراطوريته الى مرسى الامان بعد أن تقاذفتها الامواج العاتية.(٢٠) ومما لا شك فيه ان استيلاء السلاجقة على اغلب اسيا الصغرى ووصولهم الى سواحل البسفور قد خلق واقعا جديداً، عمقه الصراع بين القادة البيزنطيين على العرش وانعكاس ذلك على تمزق الامبراطورية.(٢١)

وتمضي أنّا لتصف التحديات التي واجهها والدها وفي مقدمتها الخطر النورماني في جبهة ايطاليا بقيادة روبرت جويسكارد،(٢٢) هذا الخطر الذي شغل الكتاب الرابع من مؤلفها، والذي تتحدث فيه عن المعارك القاسية التي خاضها والدها، والتي بلغت اوجها في هزيمة الكسيوس في معركة دورازو في ١٠٨١م في الساحل الشرقي للبحر الادرياتيكي.(٢٣) وتتحدث في الكتب التالية عن معارك الكسيوس مع القوى المختلفة التي هاجمت الامبراطورية مثل البشناق والسلاجقة. والكومان، وتنهي الكتاب بوصف مؤثر جدا للحظات الاخيرة من حياة ابيها.(٢٤)

الكسياد والحملة الصليبية الاولى

لا يمكن الاستناد الى أنّا كومنينا وحدها كتابة تاريخ للحملة الصليبية الاولى، فعلى الرغم من اهمية روايتها بوصفها المصدر البيزنطي الأهم، فإن تناولها للحملة لا يشغل الا جانباً محدوداً من كتابها، وقدر صلته بالموضوع الاساسي الذي الا وهو التأريخ لسيرة والدها. فأول اشارة للصليبيين تأتي في الكتاب العاشر من مؤلفها، وتحديدا في القسم الخامس منه عندما تتحدث عن بطرس الناسك وخروجه على رأس الجموع قاصدا الشرق،(٢٥) ثم تتناول بقية مراحل الحملة ضمن الكتاب الحادي عشر. ويمكن تقسيم روايتها للحملة الصليبية الاولى الى اربع مراحل وفقا للترتيب الزمني:

أولا: مرحلة زحف الجموع الصليبية من غرب اوربا وتوافدها على القسطنطينية

ثانياً: المفاوضات في القسطنطينية بين الكسيوس والقادة الصليبيين

ثالثاً: مرحلة الزحف في اسيا الصغرى باتجاه بلاد الشام

رابعا: حصار انطاكيا والاستيلاء عليها

أولا: مرحلة زحف الجموع الصليبية من غرب اوربا وتوافدها على القسطنطينية

يأتي أول ذكر للحروب الصـليبية في رواية الكسـياد في اشـارتها الى مفاجئة الامبراطور الكسيوس بإقتراب جيوش كثيفة من الفرنجة. فـ" ان الغرب بأجمعه وجميع الشعوب المتبربرة التي تعيش فيما بين الادرياتيك ومضـيق جبل طارق نزحت دفعة واحدة الى اسـيا مخترقة اوربة قطرا فقطرا مصـطحبة كل ما تملك من متاع.٢٦ وتعزو انطلاق الحملة الى شـخص بطرس الناسـك الذي اسـتطاع حشـد الناس لان يجاهدوا بأرواحهم وقواهم لتخليص بيت المقدس من أبناء هاجر. وبالنتيجة توافد الفرنجة من شتى النواحي حاملين اسلحتهم ومستصحبين جيادهم، فتزاحموا وساروا عبر جميع الطرقات وجاء مع هؤلاء المحاربين حشد من المدنيين في كثرتهم كرمل شاطئ البحر او نجوم السماء. (٢٧)

وأول ما يثير الاسـتغراب في رواية أنّا كومنينا عن بداية الحملة الصـليبية انها بحديثها عن مفاجئة والدها بقدوم الجيوش الصـليبية تكون قد اسـقطت أي ذكر لاسـتنجاد والدها بالبابوية لدفع الخطر السـلجوقي الذي بات قاب قوسـين او ادنى من القسـطنطينية لاسـيما بعد ان اتخذ هؤلاء من نيقية التي لا تبعد عن القسـطنطينية سـوى بضـع كيلومترات عاصـمة لهم.(٢٨) فقد اشـارت المصـادر الى ان الكسـيوس قد بعث الى مجمع بياكنزا الكنسـي في عام ١٠٩٥م رسـالة يستنجد بالبابا ايربان الثاني لرد الخطر السلجوقي.(٢٩) وهذا الامر قد اغفل تماما من رواية أنّا. وهو الأمر الذي كان احد المبررات الاسـاسـية وراء انطلاق الجموع الصـليبية، واحد عناصـر التحريض التي اسـتغلها ايربان الثاني في خطابه كليرمونت.(٣٠) بل ان روايتها لا تتضـمن اي ذكر لمجلس كليرمونت الشهير وخطاب البابا فيه.(٣١)

ونتيجة لذلك فان أول ذكر للصـــليبيين في روايتها يشـــير بأن والدها قد فوجئ بإقتراب جيوش كثيفة من الفرنجة باتجاه اراضي دولته.(٣٢)

ولو قورنت روايتها بما ذكرته المصـادر الصـليبية المعاصـرة، سـنجد تفصـيلات مختلفة قدمها المؤرخون الغربيون سـواء اولئك الذين رافقوا الحملة مثل المؤرخ المجهول صـاحب كتاب اعمال الفرنجة، وفوشـيه الشـارتري او ريموند الاجيلي، وكذلك اولئك الذين كتبوا عن الحملة ولم يقدموا الى الشرق مثل روبرت الراهب ووليم ماليسموري.(٣٣)

وأســـاس الاختلاف إن روايتها توحي بأن محرك الحملة الصـــليبية الاولى وقائدها هو بطرس الناســك. وذلك امر يلغي دور البابوية في الدعوة الحملة وتنظيم الجيوش، وتولي المندوب البابوي الاســقف ادهيمر، اســقف لي بويه قيادتها. ومما لا شــك فيه فان الدراســات التاريخية المعاصرة قد فندت هذا الدور المبالغ به الذي نسب لبطرس الناسك.(٣٤)

وفي مسـير هذه الجموع الى الشـرق ودخولها الى اراضــي الامبرطورية البيزنطية يتكرر التناقض بين رواية أنّا كومنينا وما ذكرته المصادر الصليبية، ففي الوقت الذي تتحدث أنّا عن جهود والدها المضــنية في توفير المؤون لهذه الجموع الزاحفة وتأمين ســلامة اجتيازها للطرق،(٣٥) فتقول ان الفرنجة قد شرعوا في عبور مضايق لمباردیا في مجموعات صغيرة حين استدعى الامبراطور قادة العساكر الرومانية وارسلهم الى المنطقة الواقعة حول دورازو وافلونا وأوصاهم بحسن مقابلة هؤلاء الوافدين وبتزويدهم في كل بلد يمرون به بالميرة وبما يكفيهم من الطعام طول رحلتهم.(٣٦)

تأتي المصــادر الصــليبية لتقدم صــورة مختلفة، فيشــير ريموند الاجيلي الذي كان برفقة ريموند الصــنجيلي اكبر قادة الحملة الى اول دخول للقوات الصــليبية الى حدود الدولة البيزنطية عند دورازو بقوله:

"وعند ضــرب الخيام بالقرب من دورازو كنا على اقتناع باننا في بلادنا لاننا صــدقنا ان الكسيوس واتباعه كانوا اخواننا المسيحيين وخلفاءنا، ولكنهم في الحقيقة انقضــوا بوحشــية الاسود على رجالنا المســالمين، الذين كانوا على غفلة مما يحتاجونه للدفاع عن النفس. وقام قطاع الرق هؤلاء وهم يعملون ليلا بذبح اهلينا في الدائق وفي الاماكن النائية عن العسـكر وسـرقوا منهم كل ما استطاعوا سرقته ... وتوافرت لنا الفرصة للانتقام لكننا استأنفنا مسيرتنا، مفضلين اثبات الظلم الذي وقع بنا. وفي الطريق وصــلت خطابات تتحدث عن الامن والاخوة وربما جاز لي ان اقول بالبنوة من الامبراطور، لكن هذه كانت كلمات جوفاء لانه من امامنا ومن خلفنا وعن يميننا وعن يسارنا كان الاتراك والكومان والغز والشعوب متربصين بنا." (٣٧)

ثانياً: المفاوضات في القسطنطينية بين الكسيوس والقادة الصليبيين

ان من اهم الاقسام التي قدمتها أنّا في كتابها الكسياد فيما يخص الحملة الصليبية الاولى هي روايتها لتوافد الجيوش الصــليبية في الحملة الاولى الى القســطنطينية وموقف الامبراطور منهم، والصــور التي رســمتها لقادة الحملة فمع انها كانت آنذاك في ســن الثالثة عشــرة الا أن روايتها تتضــمن اشــارات انفردت بها عن بقية المصــادر. والاهم من ذلك انها عكســت المنظور البيزنطي في وصف مجريات الاحداث وانطباعات الامبراطور واجراءاته تجاه قادة الحملة.(٣٨)

فقد اراد الكسيوس من ذلك- وفقا لرنسيمان- أن يتأكد من انه سيصبح السيد الاعلى لأي دويلة صــليبية قد تنشــا في الشــرق. ولعلمه إن الولاء في الغرب يؤخذ بقســم غليظ، فقد قرر أن

يطلب من جميع القادة الغربيين أن يقسموا هذا القسم كي يساندهم في غزواتهم المقبلة. ولكي يضمن التزامهم بالقسم كان على استعداد لأن يغمرهم بعطاياه واعاناته مما يؤكد ثراءه ومجده فلا يشعرون انتقاصا لكرامتهم اذا ما اصبحوا رجال الامبراطور.(٣٩) وهنا تقدم أنّا روايات عن شخصيات قادة الحملة ومظهرهم الشخصي وطبائعهم.

وكان أول القادة الذين وصلوا الى بلاط الكسيوس هيو كونت فيرماندو الابن الاصغر لهنري الاول ملك فرنسا من آل كابيه. الذي بدا رحلته في منتهى الغطرسة لكن اسطوله تعرض للغرق وقامت قوات الكسيوس بانتشاله.(٤٠) واحتفى به الامبراطور بكل ابهة مما جعله لم يكتف بإعلان تبعيته لالكسيوس وانما حث بقية الامراء على القيام بذلك، كما هو الحال مع جودفري البويوني السيد الاقطاعي لاقليم بولونيا في فرنسا.(٤١) وقد رد عليه جودفري– وفقا لرواية أنّا– ردا قاسيا بقوله: " لقد غادرت موطنك ملكاً ومعك كل ما تملك من ثروة وما تحت امرك من عسكر قوي، وها انتذا نزلت من عليائك وبلغت منزلة العبيد. انك تجي الى الان وكأنك احرزت نصراً عظيما فتحثني على اقترف الاثم الذي اقترفته انت، فرد عليه هيو بقوله لقد كان الاولى بنا أن نبقى في بلادنا ونرفع ايدينا عن الشعوب الاخرى، لكن ما دمنا قد مضينا الى هذا المدى البعيد وجئنا الى هنا فما احوجنا الى رعاية الامبراطور يسبغها علينا ونحن لن نجني أي خير من هذا المجئ ان لم نطعه"(٤٢)

ولم يؤثر ذلك في جودفري، فنشبت اثر ذلك المعارك بين قوات جودفري التي هاجمت القسطنطينية واسوارها وبين قوات الكسيوس المدربة، التي كانت بقيادة نقفور برينياس زوج أنّا نفسها. وقد نجحت هذه القوات، وفق روايتها، في صد الهجوم الصليبي ودحر قوات جودفري من مما ادى الى هربها من الميدان.(٤٣) اما المؤرخ المجهول، فيقدم رواية مختلفة عندما يصور الامبراطور بصورة المعتدي، ويصفه بعبارات بالظالم، والغادر والتعيس، وينسب اليه السبب بقيام المعركة بين الطرفين عندما غدر بقوات جودفري التي كانت تذهب يوميا في هدوء لجلب التبن وكل ما يلزم الجياد، فامر الامبراطور مرتزقته بمهاجمتهم وقتلهم.(٤٤) ثم يتحدث عن انتصار الصليبيين بقيادة بلدوين شقيق جودفري. لكن هذه الرواية لا توضح لنا سبب موافقة جودفري واخيه وكبار امرائهما على حلف يمين التبعية للامبراطور، بل انه لا يذكر شيئا عن هذا اليمين. ونص التعهد كما ذكرته الاميرة البيزنطية:

"انه ما من مدينة او بلد او قلعة يفتحها في المستقبل وتدين له وكانت تابعة من قبل للامبراطورية الا ويسلمها الى الضابط الذي يختاره الامبراطور لهذا الغرض."(٤٥)

وتبقى صورة الكراهية للامبراطور البيزنطي والتشكيك في نواياه والتشنيع عليه حية في اذهان الصليبيين لقرابة قرن من الزمن بعد هذا التاريخ، فها هو وليم الصوري لا يتورع عن كيل

التهم بدوره للإمبراطور واتهامه بالخيانة والشـــر والاعتداء على قوات الصـــليبيين، بل انه يتهم الامبراطور بانه قد اسـر هيو فيرماندو ويجعل جودفري يطالب الامبراطور بإطلاق سـراحه.(٤٦) وهذا يتناقض كما رأينا مع الحاح هيو نفســه على جودفري بإعلان الولاء للإمبراطور، وضــرورة الانحياز الى صفه.

اما بالنسبة للقائد الثالث بوهيمند النورماني ابن روبرت جويسكارد عدو الكسيوس العتيد، فان أنّا تحمل –بطبيعة الحال– للنورمان كراهية عميقة بسبب الحروب المتواصلة التي خاضوها ضـــد الامبراطورية البيزنطية بقيادة روبرت جويســـكارد وولده بوهيمند نفســـه.(٤٧) وقد كتبت صفحات عديدة في الفصول السابقة في الحديث عن المعارك مع النورمان. ومما لا شك فيه إن موقفها من النورمان مرتبط أيضا بما سيحدث لاحقا من نكث بوهيمند وتانكرد ابن اخته لتعهداتهم لالكسيوس واستئثارهم بالحكم في انطاكيا ومحاربة ممثلي الامبراطور. ووصفها لبوهيمند يجمع بين احتقار لسلوكه وتصويره بأقسى الصفات، وبين الاعجاب بمظهره الجسماني، في قولها:

"لم ار قط في حياتي رجلا شـــريرا كهذا الرجل، اتســـمت جميع افعاله واقواله بالبعد عن الصواب ونكب السبيل السوي، فما من شخص يحيد عن الطريق المعتدل الا ويباعد بين نفسه وبين الخير... وهو اشبه بأخطبوط البحر سرعان ما يبدل هيئته."(٤٨)

وتمضـي في وضـع بوهيمند في اسـوأ صـورة فتقول عنه مطبوع على الخبث والنذالة لا يثبت على رأي واحد بل سرعان ما يحيد عنه حسب ما تمليه عليه الظروف. ولقد بز في دناءته جميع اللاتين الذين مروا على القسطنطينية في ذلك الحين. وهو وان كان هو اقلهم ثروة ودخلا، كما انه اكبر الســـاعين في الشـــر يوغل فيه ايغالا كبيرا، هذا الى جانب عدم وفائه ونقضـــه العهد.(٤٩)

لكن ذلك لم يمنعها من أن تصف بإعجاب واستفاضة ملامحه الخلقية والخلقية بما يوحي بأنها قد طالعته عن قرب، فهي تقول:

لقد كان منظر بوهيمند باختصار لا يشبه قط منظر اي شخص آخر وقعت عليه العين من قبل في العالم الروماني : يونانيا كان ام متبربرا، فقد اثار مرآه الاعجاب كما كان اسمه يبعث على الخوف.(٥٠) فهي تقرر قبل كل شـــيء انه يترك لدى من يعرفه انطباعين الاول هو الاعجاب والثاني هو الخوف فهو طويل القامة بدرجة لافته " فاذا قيس بأطول رجل زاد عليه بما يقرب من ذراع، وكان نحيف الوسـط والكشـحين لكنه عريض المنكبين مفتول الذراعين. ولم يكن على العموم شديد النحافة ولا كان مكتظ البنية ولحيمها... وهو مهيب الوقفة وكانت رقبته متداخلة وقد يبدو لمدقق انه فيه انحناءة قليلة ولم يكن ذلك نتيجة عيب في عظام الجزء الاســـفل من عموده الفقرة بل ربما كان ذلك راجعا الى نتوء وتشوه خلقي منذ ولادته."(٥١)

وتمضـي في وصـفه بقولها: "وكان ابيض شـاهق البياض يخاط وجهه حمرة خفيفة. كما كان بني الشعر طويله كطول شعر غيره من المتبربرين، اعني انه لم يك يتدلى على كتفيه وليس هو بالكثيف المستشرسل بل يصل الى اذنيه فقط . ولا استطيع الجزم عما اذا كانت لجيته حمراء ام غير حمراء لانها كان يحلقها جتى تصير ذقنه ناعمة ملساء، اما عيناه فخفيفتا الزرقة."(٥٢)

ولا تخفي أنّا اعجابها بمنظره بقولها " وكان فيه لمحة من الفتنة وان طمســها ما يوحيه شكله عامة من الفزع منه. واذا طالعه الانسان بوجه عام طالعته منه وحشيه ترجع في ظني الى هيكله الضخم والى نظراته كان اذا ضحك بدا كأنه يزمجر. وعلى هذه الصورة كان تركيبه الخلقي والجسماني.(٥٣)

اما بالنسـبة لصـفاته الخلقية فقد جمع، وفقا لأنّا "بين الشـجاعة والاسـتعداد للمعارك وكان تيهه ظاهرا للعيان في كل شـي، الى جانب مكر يعوذ به ويلازمه على الدوام. وهو دقيق في صـياغة كلماته واذا جادل اتسم كلامه بالغموض والايهام" (٥٤)

وتصل حداً انها لا تجعل لبوهيمند من ند سوى والدها الامبراطور بقولها " ولم يكن هناك من احد يسـتطيع التغلب على رجل له مثل هذا التكوين سـوى الامبراطور وهو اكفأ ندّ له، وقد امكنه الظهور عليه تارة بالحظ وتارة بالبيان وثالثة بالموهبة التي حبته بها الطبيعة.(٥٥)

وفي هذا الوصـف ولاشـك تأثير الخوف من بوهيمند ومن النورمان بصـورة عامة وحربهم المتواصـلة ضـد الامبراطورية البيزنطية وتحديدا ضـد الكسـيوس.(٥٦) وكما هو معروف ان هذه الحرب قد توقفت لبعض الوقت اثناء الحملة الصـليبية الاولى، وان بوهيمند بعد أن أسـس امارته في انطاكيا عاد الى ايطاليا وعاد لاسـتئناف محاربة الامبراطور، وانه بالنهاية هزم على ايدي الكسـيوس عند قلعة درهاكيوم في البلقان في عام ١١٠٧م بعد ان حاصـره الامبراطور وقطع عنه طرق الامدادات البرية والبحرية. وقد وصف رنسيمان هذه الهزيمة بحماس عندما قال " كان نصراً مؤزرا لبيزنطة؛ إذ كان بوهيمند آنذاك اشهر محارب في العالم المسيحي، وكان مشهد ذلك البطل المرعب بقامته الطويلة التي تعلو الامبراطور، ومع ذلك بدت متضـرعة مطيعة لما يمليه عليها، شاهدا على ما للامبراطور من مهابة طاغية لا تنسى."(٥٧)

اما آخر القادة الصليبيين الذين ذكرتهم أنّا فهو ريموند الصنجيلي، كونت تولوز، الذي تم تصويره منذ البداية على أنه صديق للإمبراطور: فقد امتلك الكسيوس تجاهه وحده عاطفة عميقة، فتقول أنّا انه لم يصـطف الكسـيوس من جميع الفرنجة أحدا سـوى ريموند كونت صـنجيل، وتعزو ذلك الى ما طبع عليه هذا الكونت من الذكاء الوقاد والسـمعة الطيبة وصـفاء نفسـه ثم ما عرفه الامبراطور فيه من تعظيمه للحق فهو ايا كانت الظروف مؤيد للعدل... والواقع ان الصـنجيلي كان يبز جميع اللاتين في الصـفات الحمدية. وكان اشـبه بالشـمس يكسـف نورها ضـوء

النجوم.(٥٨) وهي توضح أن والدها والكونت أصبحا صديقين حميمين لدرجة أن ريموند ظل لفترة من الوقت في القسطنطينية وغادر القادة الآخرون. وان الامبراطور اسرّ اليه ريبته وشكّه بقادة الصليبيين وفي مقدمتهم بوهيموند." فلم يكن يدع فرصة تمر دون أن يحذره من خيانته ويوصيه بأن يكون على استعداد لاحباط كل محاولة من جهة بوهيمند، فالغدر امر قديم فيه وليس بالجديد وهو ارث ورثه عن اسلافه.(٥٩) اما بالنسبة لريموند نفسه فقد اوردت أنّا على لسانه مقارنة بينه وبين بوهيمند قال فيها معقباً على قسم بوهيمند بالتبعية والولاء للامبراطور : " لئن يوف بوهيمند بيمينه ويبر بقسمه فذلك ضرب من المعجزات."(٦٠) ولا توضح أنّا فيما اذا كان هذا رد على طلب الامبراطور من ريموند ان يحلف له بالولاء، ولا تذكر المسالة الاهم التي تحدثت عنها المصادر الصليبية بان ريموند وحده من بين القادة الصليبيين من رفض اعطاء الولاء للإمبراطور.(٦١)

وتتناقض الروايات السابقة تناقضا واضحا مع ما قدمته المصادر الصليبية، التي تقدم عرضا معكوسا تماما للأحداث، فالمؤرخ المجهول صاحب اعمال الفرنجة يسجل بأن بوهيمند هو من اقسم الولاء للإمبراطور، فهو يقول " اما كونت صنجيل فكان مقيما في ذلك الحين بظاهر المدينة في احدى الدساكر وبقي جيشه معسكرا في الخلف، وبعث الامبراطور الى الكونت يطلب منه ان يقسم له كما اقسم الاخرون يمين الولاء والتبعية غير انه في اللحظة التي ارسل فيها الامبراطور هذه الرسالة كان الكونت قد فكر فيما يستطيع عمله للثأر من الجيش الامبراطوري، فافهمه الدوق جودفري وروبرت كونت فلاندر وبقية الامراء انه ليس من العدل ان يمتشق الحسام ويستله لمحاربة النصارى. واضاف بوهيمند العاقل الى ذلك قوله انه اذا ارتكب كونت تولوز اي تعد ضد الامبراطور وخالف ما تعهد الزعماء له بالوفاء فان بوهيمند ذاته سيقف في صف الامبراطور... وعندما دعي الكونت الى الحفل الذي اقيم احتفاء بما قطعه الامراء من عهد الولاء للامبراطور اجاب انه لن يستجيب لهذه الدعوة ابدا حتى لو ادى رفضه الى قتله وهلاكه.(٦٢)

للامبراطور البيزنطي الذي اقسم له الولاء الامراء الاخرون وان ريموند رد "بأنه لم يحمل الصليب ليدين بالولاء لسيد اخر او ليكون في خدمة اي كائن اخر غير الرب الذي من اجله هجر وطنه وممتلكات ابائه. (٦٣)

ويمكن للمرء الخروج باستنتاج مفاده أن هذا التناقض مبعثه التطورات اللاحقة للأحداث، فقد سبق القول ان بوهيمند الذي ظهر مواليا للامبراطور سينكث فيما بعد تعهده ويرفض اعادة انطاكيا له بينما ريموند الذي رفض اعطاء الولاء سيصبح صديقا للإمبراطور وسيدافع عن حقوق البيزنطيين في مواجهة بوهيمند وابن اخته تانكرد من بعده.(٦٤) فريموند الاجيلي، الذي كان مناهضًا مريراً للإمبراطورية البيزنطية، تعمد حذف أي إشارة إلى الصداقة الجديدة بين الكونت

والإمبراطور التي تطورت بعد سوء التفاهم الأولي، بينما أنّا، التي تعرف أن ريموند أصبح حليفاً مخلصاً لألكسيوس في المراحل اللاحقة للحملة الصليبية وما بعدها اختارت حذف أي إشارة إلى الشجار الذي بدأت به العلاقة.

ثالثاً: مرحلة الزحف في اسيا الصغرى باتجاه بلاد الشام

انتقلت القوات الصليبية من الساحل الاوربي الى الطرف الاسيوي، وكانت نيقية اول المحطات المهمة التي زحفت نحوها قوات الحملة الصليبية والاختبار الاول للعلاقة بين الامبراطور الكسيوس والقادة الصليبيين. ولا تبعد نيقية عن القسطنطينية اكثر من ١٠٠ كيلومتر. وكانت قد سقطت بأيد السلاجقة عام ١٠٧٨م بعد ان فتحت ابوابها لهم على اثر الخصومات التي وقعت بين كبار القادة البيزنطيين،(٦٥) فوجد الكسيوس في الحملة الصليبية الفرصة التي ينتظرها طويلا لتخليص بلده من هذا الخطر الجاثم والمتربص بعاصمته. ولا تجد أنّا ضيرا أن تصف اسلوب والدها ومناوراته المخادعة لكل من الصليبيين والاتراك في نفس الوقت من اجل انتزاع نيقية.(٦٦) فتسجل أن أباها رسم خطته للاستيلاء بنفسه على نيقية، وعدّ ذلك الاستيلاء احسن مما لو ردها الصليبيون اليه بعد ان يستولوا عليها، فأعد خطته وابقى ما اتخذه من الاستعدادات طي الكتمان، وتصف سياسته بقولها:" وكان لا يصرح لأحد ما بأي تصرف يزمع القيام به الا لمستشاره الامين بوتوماتيس، فافهم السلاجقة بانهم سيلاقون القتل إن استولى الفرنج على المدينة لذا من الخير ان يسلموا نيقية للامبراطور من تلقاء انفسهم لكي يتلقوا عطف الامبراطور وهداياه بدلا ان يكونوا وقودا لحرب لا جدوى منها. وبالمقابل فقد خدع الصليبيين عندما رتب تسلم المدينة دون علم الصليبيين."(٦٧)

فرتب هذه الحيلة ترتيبا دقيقا باهراً وابقاها طي الخفاء، لأن رغبته كانت تتمثل في أن تظل المفاوضات التي يقوم بها بوتوميتس سرا مكتوما عن الصليبيين، ففي الوقت الذي كانوا فيه يشددون الحصار على لمدينة كان بوتوميتس قد اعتلى الاسوار وضمن استسلام المدينة وركز الرايات والبيارق الامبراطورية على قلعتها وابراجها.(٦٨) ولم يسمح للصليبيين بدخول المدينة، فحرموا من الفرصة التي كانوا يمنون انفسهم بها في نهبها.(٦٩)

ويسجل ريموند الاجيلي بان الامبراطور الكسيوس تعهد للأمراء والشعب الفرنجي انه سيسلمهم كل ما في نيقية من ذهب وفضة وخيول وامتعة، وزاد على ذلك ان قال انه سيؤسس بها ديرا لاتينياً وملجأً للمعوزين من الفرنجة، كما وعد بأن يعطي لكل فرد بسخاء يجعل كل جندي في الجيش يتمنى أن يخدمه مدى الحياة. ووثق الفرنجة في هذه الكلمات المخلصة. واغتبطوا لاستعادة نيقية لكن ما إن اصبحت نيقية في حوزة الكسيوس، حتى تصرف بجحود مع الجيش حتى ان الناس سيسبونه ويصمونه بالخيانة طالما كان حيا.(٧٠) ولا يحمل المؤرخ المجهول

مشاعر افضل تجاه الامبراطور بل على العكس اتهمه بأنه رتب تسليم نيقية. هو يجعل المبادرة للأتراك في التفاوض مع الكسيوس وان سوء نية الامبراطور وغروره قد جعله يخرج الاتراك من المدينة سالمين واحتفى بهم في بلاطه في القسطنطينية ورتب مهم لكي يقوموا بنصب الكمائن للفرنجة ووضع العقبات في سبيلهم.(٧١)

وتتعمق صورة الخيانة لدى الكسيوس في رواية وليم الصوري الذي تتبع مجريات العلاقات الصليبية البيزنطية على مدى قرن من الزمن تقريبا، فيتحدث عن الكسيوس وموقفه في نيقية ومنعه القادة الصليبيين من سلب المدينة، بأن اثار ذلك – حسب قوله- سخط الجنود لانهم كانوا يمنون انفسهم بسلب المدينة وثرواتها ومخازنها ليعوضوا عن خسارتهم لأملاكهم، فقد احتجز الكسيوس لنفسه كل شئ خلافا للاتفاق. ولم يقتصر الأمر على الجنود وحدهم، وانما اتهمه القادة ايضا بأنه نكث عهده، فالاتفاق هو أن يعيد القادة المدن التي كانت تابعة للامبراطورية اليه اما الغنائم والاسلاب وما شاكلها فتعود من غير جدال الى العسكر مكافأة لهم على جهودهم وتعويضا عن النفقات التي تكبدوها. فتيقنوا انهم يتعاملون مع رجل نكث عهده.(٧٢)

وبعد الاستيلاء على نيقية استدعى الكسيوس القادة الصليبيين الى القسطنطينية واغدق عليهم الاموال والهدايا. وقدم لهم النصائح في حركتهم داخل اسيا الصغرى. وبعثهم معهم قوة من الجيش الروماني وادلاء بقيادة ابرز قادته وهو تاتكيوس(٧٣). ورواية أنّا عن مسيرة الحملة تتفق مع المصادر الصليبية في بعض الجوانب وتختلف معها في جوانب اخرى.

شقت الجيوش الصليبية ومعها القوات البيزنطية طريقها مخترقة اسيا الصغرى متخذة الطرق التقليدية باتجاه بلاد الشام والاراضي المقدسة في فلسطين التي هي بمثابة الهدف الاسمى لهذه الحملة.(٧٤) وتذكر المصادر بأن قلج ارسلان سلطان سلاجقة الروم بعد انسحابه من المواجهة في نيقية قرر أن يترصد الصليبيين في طريقهم الى الشرق، واستغل انقسام الجيش الصليبي الى قسمين الاول بقيادة بوهيمند والقائد تاكيتوس والثاني بقيادة جودفري والمندوب البابوي ادهيمر.(٧٥) ثم وقعت المعركة الحاسمة قرب دورليوم باتجاه مدينة اسكي شهير في الشمال الغربي من اسيا الصغرة وبعد نحو ٣٣٠ كم من مدينة القسطنطينية. ولم يستطع فيها قلج ارسلان أن يدحر الصليبيين خصوصا بعد ان أسرع جودفري على رأس الجيش الثاني بالانضمام الى المعركة وافقد السلاجقة لزمام المبادرة، فانسحب الجيش المسلم وتمكن الصليبيون من مواصلة سيرهم دون ان يدخلوا في معركة فاصلة جديدة حتى وصولهم الى بلاد الشام.(٧٦)

وفيما يخص هذا الجانب من الحملة فان رواية أنّا لا تتقاطع كثيرا مع رواية المصادر الصليبية باستثناء بعض التفاصيل.

أهم ما يفرق بين رواية الاميرة البيزنطية عن رواية المصـادر الصـليبية هو اشـارتها الى قوات الامبراطور البيزنطي التي رافقت الحملة، بل انها ذكر ان القائد البيزنطي تاتكيوس المشـار اليـه هو من كـان يقود الجيش الصـــليبي وانـه تنـازل لاحقا عن القيـادة لبوهيمنـد، وان القوات البيزنطية قد وقع عليها ثقل هجوم قوات قلج ارسـلان اسوة بقوات الصـليبيين، وان الانتصـار كان انتصـار البيزنطيين والصـليبيين، فضـلا عن ان بوهيمند لم يتعقب القوات التركية المنهزمة عملا بتعليمات الامبراطور التي القاها عليهم.(٧٧) وهنا تكمن اهمية كتاب الكسياد، اذ لم ترد اي اشارة في المصـادر الصـليبية المعاصـرة الى مرافقة القوات البيزنطية للجيش الصـليبي في الرحلة عبر اســيا الصــغرى. ولن يأتي ذكرهم الا في حصــار انطاكيا وبصــورة عابرة.(٧٨) بل ان المؤرخ المتأخر وليم الصوري، الذي قدم رواية مفصلة عن حركة القوات الصليبية في بلاد الاناضول بعد معركة دورليوم في الاول من تموز ١٠٩٨م/٤٩٠هـ، الذي يفترض ان يكون قد اســتوعب كل الروايات التي قدمتها المصادر او استقاها عن كبار السن حسب زعمه، اغفل تماما الاشارة الى البيزنطيين(٧٩)

رابعاً: حصار انطاكيا والاستيلاء عليها:

يعد موضــوع انطاكيا وحصــارها والاســتيلاء عليها من قبل الصــليبيين من اكثر الموضوعات الشائكة في العلاقات البيزنطية الصليبية بسبب اتهام كل طرف للآخر بنكث اليمين والتعهدات التي سـبق ان اخذها الكسـيوس من القادة الصـليبيين في معاهدة القسـطنطينية عام ١٠٩٨، والتي ســبق ان اشــرنا اليها. فمن المفهوم إن اليمين تضــمن أن يعيد الصــليبيون للإمبراطور البيزنطي كل الاراضـي والمدن التي كانت سـابقا تحت سـيطرة الامبراطورية البيزنطية في مقابل ان يمدهم الامبراطور بالمساعدة العسكرية والمؤون.(٨٠)

اما الذي حدث في انطاكيا، فكما هو معروف هو أن احد قادة الحملة الصــليبية، وهو بوهيمند النورماني، قد نجح في انتزاع هذه المدينة لنفسـه وتكوين امارة خاصـة به، ضـارباً عرض الحائط بالتعهدات والايمان التي قدمها للإمبراطور. وكانت الحجة التي روج لها أن الامبراطور قد نكث بتعهداته عندما لم يقدم بنفســه للمشــاركة في الحملة او يرســل الجيش البيزنطي لإنقاذ الصليبيين في انطاكيا عندما هاجمهم جيش كربوقا.(٨١)

وقد بقيت عائدية انطاكيا مشكلة توارثها الاباطرة بعد الكسـيوس. وعندما كتبت أنّا كتابها كانت ماتزال القضـية غير محسـومة لكنها – انطلاقا من هدف كتابها– كانت تهدف الى الدفاع عن والدها وتبرئته من التهم التي سـاقها بحقه الصـليبيون، وبالمقابل توجيه الاتهام الى بوهيمند والنورمان بنكث الايمان التي قطعوها للامبراطور.(٨٢) لذلك نراها عندما تتناول حصـار انطاكيا

تركز على الحوادث المتعلقة بالقائد الصـــليبي بوهيمند لارتباط ذلك بما ســـبق، وهي تخالف في روايتها الى حد بعيد ما قدمته المصادر الصليبية.

ولو تأملنا روايتها عن حصار انطاكيا سنراها تنقسم للعناصر التالية:

١-اتجه الجيش البيزنطي وقوات الصـــليبيين مباشـــرة صـــوب انطاكيا بعد الانتصـــار في معركة دورليوم، ونزلوا امام اسوار انطاكيا وحاصروها لثلاثة اشهر قمرية

٣-استنجد الترك بسلطان خراسان، وزحف امير الموصل كربوقا لنجدة انطاكيا

٤- اتصل شخص ارمني يحرس احد ابراج المدينة اسمه فيروز ببوهيمند من فوق السور واقنعه بوهيمند له بتسليمه البرج

٥-خدع بوهيمند تاتكيوس قائد القوات البيزنطية بخطة خبيثة، عنما اوهمه بأن القادة الصـــليبيين يريدون قتله لانهم يعتقدون بأن الامبراطور هو من استدعى جيش كربوقا امير الموصل، فما كان من تاتكيوس الا ان ركب السفن البيزنطية وتوجه الى قبرص.

٦-اقنع بوهيمند القادة الصـــليبين بأن من يســـتولي على المدينة هو من يقوم بحكمها ثم يســـلمها لاحقا لمندوب الامبراطور البيزنطي.

٧-فتح فيروز لبوهيمند ابواب البرج (برج الاختين) فوثب ومن معه على ســـطحه ونفخ بالبوق، فلما ســـمع الاتراك ذلك اصـــيبوا بالذعر وهربوا من الجانب الاخر من المدينة، ولم يتبق ســـوى مجموعة ضـــئيلة في القلعة، واحتل الصـــليبيون المدينة، بينما قام تانكرد بمهاجمة الفارين من الاتراك واعملوا فيهم القتل.

٨- وصـلت قوات كربوقا واصـطدمت بالصـليبيين واجبرتهم على الانكفاء داخل اسـوار انطاكيا. وتقسيم الصليبيين لقواتهم بين مواجهة القلعة ومواجهة كربوقا

٩-اراد الامبراطور الاسراع في انجاد الصـليبيين حسب الاتفاق لكنه انشـغل في البداية بما حدث من خراب شامل ودمار كبير- حسب وصف أنّا كومنينا- الذي تعرضت له المدن الساحلية على ايدي الاتراك، لكن ذلك لم يصـــرفه عن التوجه الى انطاكيا. وعندما وصـــل قابله وليم دي جراندمنسل كونت فرنسا وبيير دولبس وهؤلاء قد فروا من انطاكيا عن طريق طرسوس واخبروه ان الفرنجة في وضـع يائس على حافة خطر فادح، واقسـموا له على ذلك، فزاده هذا الخبر حرصـا على نجدة الصليبيين رغم المعارضة الشديدة.

٩- وصـول انباء بان هناك جيش بقيادة اسماعيل ابن سلطان خراسان متجه لمحاربة الكسيوس قبل ان يتوجه الى انطاكيا، فتوقف الكسيوس عن زحفه لأنه ادرك استحالة انقاذ المدينة. ولم يكن لديه ما يكفي من القوات وخاف ان تضـيع منه القسطنطينية وانطاكيا وخشـي من مهاجمة الاتراك

للسكان، فامر قواته بالرحيل وسكان المناطق بمغادرتها قبل وصول الاتراك ودخوله القسطنطينية محملا بالغنائم الوفيرة وبالاسرى.

١٠- تحرج موقف اسماعيل بن سلطان خراسان عندما لم يجد شيئا يفعله بعد نجاح الكسيوس بالنجاة بقواته منه.

١١-اشتداد المجاعة بالصليبيين في انطاكيا ووعظ بطرس الناسك لهم ثم اكتشاف المسمار الطاهر ومضوا الى بطرس ثم الى ريموند الصنجيلي الذي كان اكثرهم طهرا.

١٢-خرج الصليبيون في اليوم التالي على الاتراك من باب سري واغاروا عليهم وكان روبرت كونت فلاندر في المقدمة، ونزل الى الارض وهاجم هو ورفاقه الاتراك فاثاروا الرعب في قلوب الترك الذين فروا قبل ان تشب المعركة. ووقع الكثير منهم في النهر فغرقوا فيه. واستولى الصليبيون على كل في المعسكر التركي من متاع كان اضخم واثقل مما يستطيعون حمله

١٣- اختار الصليبيون بوهيمند حاكما على انطاكيا لأنه كان يسعى لهذا المنصب قبل سقوط المدينة بين ايديهم وسار بقية الكونتات الى القدس.(٨٣)

ومن تحليل العناصر السابقة يتضح ان أنّا لم تكن معنية بعرض كل تفاصيل حصار انطاكيا وانما ركزت على خطين رئيسيين: صدق والدها والتزامه بتقديم العون للصليبيين، فقد سير جيشاً بيزنطيا معهم بقيادة افضل قادته وهو تاتكيوس، وبمجرد نجاحه في تأمين السواحل القريبة من القسطنطينية سار بجيشه حسب الاتفاق مع الصليبيين، لكن اقنعه الهاربون من انطاكيا بأن الوضع فيه محسوم لصالح الاتراك، فضلا عن توجه جيش كبير بقيادة ابن سلطان خراسان صوبه، فلم يكن امامه سوى الانسحاب.(٨٤)

اما الموضوع الثاني فهو بوهيمند: الذي كان وفق روايتها مخادعا كاذبا: خدع فيروز حارس البرج بمعسول الكلام لكي يتيح له الاستيلاء على البرج،(٨٥) وخدع القائد البيزنطي واوهمه بان قادة الجيش الصليبي بصدد قتله،(٨٦) وخدع القادة انفسهم عندما لم يعلمهم بمفاوضاته مع فيروز ليجعلهم يقرون بأن من يستولي على المدينة هو من سيحكمها في المستقبل.(٨٧) وبالنتيجة فإن روايتها تصطبغ بلونين : ابيض وهو والدها المتلزم الصادق، واسود هو بوهيمند المخادع الكذاب.

واذا رجعنا الى شهود العيان الصليبيين الثلاثة: المؤرخ المجهول، وفوشيه الشارتري، وريموند الاجيلي، سنرى الاتي:

على العكس مما كتبته أنّا كانت صورة الكسيوس في المصادر الثلاثة غير ايجابية، بل انها اتخذت سمة عدائية واحيطت بكل النقائص، وان اختلفت حدة ذلك بين مؤرخ وآخر؛ فالمؤرخ المجهول، الذي قدم اكثر الروايات تفصيلا كان على تناقض تام مع رواية أنّا، فلا يذكر اسم

بوهيمند الا ويأتي مقترنا بالتمجيد،٨٨ فهو بطل المسيح الاشوس(٨٩)، وهو الفطن، العاقل.(٩٠) اما تاتكيوس فهو (عدونا) الذي استبد به الفزع الشديد عندما سمع بأن جيوشاً من الاتراك تزحف على انطاكيا فأخذ ينتحل الافتراءات، ليهرب من العسكر بزعم انه ذاهب لجلب الطعام وكل ما يحتاجه الصليبيون. وهو –حسب المؤرخ المجهول–" حانت بيمينه وسيظل حانثا".(٩١) ويعود الى بوهيمند فيصفه بالعاقل والحكيم. ويعرض رواية تسليم الابراج من قبل فيروز بطريقة تنم عن ذكاء بوهيمند وليس عن غدره على النقيض مما فعلت المؤرخة البيزنطية. وفي هذا الشأن يضيف رواية تعظم من شأن بوهيمند بأن الحراس وعلى راسهم فيروز طلبوا حضور بوهيمند فكان التساؤل على لسانهم (اين هو بوهيمند الشجاع الذي لا يقهر؟). (٩٢) والحقيقة ان تعظيم بوهيمند لدى المؤرخ المجهول يبلغ اوجه عندما يسوق ذلك في حوارات وهمية على لسان اعدائه او اصدقائه، فهو يزعم أن أم كربوقا قائد الجيش الاسلامي قد قدمت من مدينة حلب لمقابلة ابنها لمحاولة ثنيه عن محاربة الصليبيين بدعوى انهم منصورون ولا يمكن قهرهم.(٩٣) وعندما يأتي الحديث عن قادة الصليبيين لا يضرب كربوقا وامه امثلة الا عن اثنين من القادة هم بوهيمند وابن اخته تانكرد متجاهلين كل القادة الاخرين، فكربوقا ينفي أن يكون القائدان من الالهة، اما الام فتقول " إن ربهما فضلهما على غيرهما ومنحهما قوة يحاربان بها الجميع"(٩٤). وفي نهاية المعركة واندحار قوات كربوقا يجعل قائد القلعة التركي يرفض ان يسلم القلعة او يرفع راية احد من القادة الصليبيين الا راية بوهيمند، وانه تلقى رايته بيد السرور.(٩٥)

اما فيما يخص عودة الامبراطور عن انجاد الصليبيين، فتختفي من الرواية–رواية المؤرخ المجهول– اي اشارة الى عزم الامبراطور وتصميمه على المضي في حملته، حيث انه بمجرد سماعه قول ستيفن بلوا الهارب من المعسكر الصليبي بان القوات الصليبية قد تعرضت للتدمير التام على ايدي الاتراك، وحتى في هذا الموقف تبقى ضورة بوهيمند قائمة "عندما يورد حوارا بين الامبراطور وجي الاخ غير الشقيق لبوهيمند، وفيه سرّه الامبراطور بخبر امكانية ابادة الصليبيين في انطاكيا، خر جي باكيا راثياً اخاه بقوله: يا سيدي بوهيمند يا شرف الدنيا وزينتها يامن كان العالم يرهبه ويحبه.(٩٦)

اما ريموند الاجيلي المرتبط بريموند الصنجيلي –كما سبقت الاشارة– فهو يحمل ايضا الكراهية تجاه البيزنطيين، وانه تبنى موقف سيده المناهض لهم؛ فبالنسبة للقائد البيزنطي المرافق للحملة تاتكيوس، فقد انتقل الاجيلي من الطعن في سلوكه الى الانتقاص من شكله، فهو يصفه في اكثر من موضع بأنه دميم، فقد كان له انف مشوه، اما صفاته فقد رأى الاجيلي بأنها لم تعوض تشوهه الخلقي، وفي موضع اخر يصفه بانه جبان يتهرب من القتال، وكاذب فضلا عن حنثه باليمين، وانه هرب بعد ان تنازل لبوهيمند عن مدينتين او ثلاث هي طرسوس والمصيصة

وادنه، بحجة الانضمام الى جيش الكسيوس وتخلى عن اتباعه، ومضى تصحبه لعنة الله . وجلب بهذا العمل الخسيس العار الابدي على نفسه ورجاله(٩٧). وفيما يخص بوهيمند فان شخصيته وصـــورته البطولية التي قدمها المؤرخ المجهول تكاد تختفي اذ يصـــبح ريموند الصـــنجيلي هو المحور الاساسي للأحداث وتأتي شخصية بوهيمند ملحقة وثانوية له.(٩٨) ويكفي الاشارة بأن كلمة بوهيمند وردت في الكتاب (كتاب ريموند الاجيلي ٣٢ مرة)، بينما وردت الاشارة الى ريموند سواء باسمه او بلقبه في (١٢٠ موضع). ومن الواضح انه انما يكتب لك بوحي من العداء الذي ســيقع لاحقا بين بوهيمند وريموند في الصـــراع على انطاكيا. ورفض ريموند وحده ان تصـــبح انطاكيا من حصة بوهيمند. كما ان الصراع سيمتد لاحقا ليصبح بين ريموند نفسه وتانكرد خليفة بوهيمند في انطاكيا.(٩٩)

وقد ذكرت أنّا كومنينا حادثتين تكرر ذكرها في المصـــادر الصـــليبية المعاصـــرة وفي المصـــادر العربية، الا وهي حادثتي خيانة فيروز الزراد وتســـليم مدينة انطاكيا وحادثة الحربة المقدسة التي سبقت الصدام الحاسم مع جيش كربوقا. اما قصة فيروز فاشرنا الى ان أنّا قد تحدثت عن مخادعة بوهيمند لاحد حراس الابراج، وحددت اســـمه بفيروز، وإنه أرمني وانه كان مسؤولا عن برج اسمه برج الاختين. وفي كتاب ريموند الاجيلي لا يذكر فيروز وانما يتحدث عن أحد الاتراك المحاصرين الذي وثق في امرائنا الى حد انه سيسلمنا انطاكيا،(١٠٠) ثم ارسل هذا التركي رسولاً للقادة وأمرهم أن يتحركوا عندما يمر امامهم مصباح. وعندما جاءتهم الاشارة وضع الصـــليبيون ســـلماً وبدأوا يتســـلقون. ولا يتحدث عما ذكرته أنّا والمؤرخ المجهول من أن القائد الصليبي الذي رتب تسليم المدينة مع حارس البرج هو بوهيمند.(١٠١) اما الشارتري فانه يذكر بوهيمند بالفعل لكنه لا يذهب مذهب أنّا في القول بأن بوهميند هو من خدعه بالوعود، وانما يقول ان السيد المسيح(عليه السلام) تجلى له وامره ان يسلم المدينة للصليبيين. ودور بوهيمند في هذه الرواية يقتصر على انه اول من عرف بأمر الخطة وتأثر بها ويجعل هذا التركي يضع ابنه رهينة لدى بوهيمند.(١٠٢) اما في الرسالة التي ضمنها الشارتري كتابه، والتي قال انها وجهت من قبل قادة الصليبيين الى البابا بعد دحر قوات كربوقا فيجعل الذي سلم الاسوار احد الاتراك بناء على اتفاق مع بوهيمند.(١٠٣) ويعني ذلك ان كل المصـــادر اشـــارت الى بوهيمند مع اختلافها في الادوار التي اعطته اياها. ويقدم ابن العديم رواية تقترب كثيرا من رواية أنّا كومنينا فيقول:

"واطأ رجل يعرف بالزراد من أهل أنطاكية وغلمان له على برج كانوا يتولون حفظه، وذلك أن يغي سيان كان قد صادر هذا الزراد وأخذ ماله وغلته، فحمله الحنق على أن كاتب بيمند وقال له: أنا في البرج الفلاني، وأنا أســـلم إليك أنطاكية أن أمنتني وأعطيتني كذا وكذا. فبذل له ما طلب، وكتم أمره عن باقي الفرنج... وكان بعسكر الفرنج تسعة قوامص مقدمين عليهم كندفري،

وأخوه القمص، بيمند، وابن أخته طنكريد وصـــنجيل وبغدوين وغيرهم. فجمعهم بيمند وقال لهم: هذه أنطاكية إن فتحناها لمن تكون فاختلفوا، وكل طلبها لنفسه، فقال: الصواب أن يحاصرها كل رجل منا جمعة، فمن فتحت في جمعته فهي له، فرضـــوا بذلك. فلما كانت نوبته دلى لهم الزراد لعنه الله، حبلاً، فطلعوا من السور، وتكاثروا، ورفع بعضهم بعضاً وجاءوا إلى الحراس، فقتلوهم، وتسلمه بيمند بن الانبرت."(١٠٤) اما ابن القلانسي فيقول

"وفي آخر جمادى الأولى منها ورد الخبر بأن قوماً من أهل أنطاكية من حملة الأمير ياغي سيان من الزرادين عملوا على أنطاكية وواطوا الافرنج على تسليمها إليهم لاساءة تقدمت منه في حقهم ومصـادرتهم ووجدوا الفرصـة في برج من أبراج البلد مما يلي الجبل باعوه للافرنج واطلعوهم إلى البلد منه في الليل."(١٠٥)

وهو لا يقول انه ارمني ولا يحدد جنســـه، وانما يقول انهم مجموعة من الزرادين، وانهم فعلوا ذلك ردا على اساءة ياغسيان. ويتفق مع ما ذكرته المصـادر من انهم اغروا بالمال للقيام بعملهم. وتبقى اخيرا رواية ابن الاثير، الذي اكد هو ايضـــا على ان الخيانة تمت من قبل احد المســـتحفظين للابراج. ويتفق ايضـــا بأنه زراد، لكنه يعرفه بروزبة. وهو يجعل المبادرة من الصليبيين الذي راسلوا هذا الحارس وبذلوا له مالا واقطاعا.(١٠٦)

وقد تعلق الامر بالحادثة الثانية اي رواية الحربة المقدسة، والرؤى الدينية التي صاحبتها، فرواية أنّا كومنينا تقدم عرضاً مختلفاً تماماً عما ورد في المصادر الصليبية والعربية، فالرواية لا تتجاوز بضـعة اسـطر، وتجعل من بطرس الناسـك هو الشـخص الذي اوحي اليه بان عليه أن يحفر في المكان الطاهر عندها سيجد المسمار الطاهر، وإنه استدعى كبار الكونتات لأجل ذلك ووجههم للحفر في ذلك المكان، لكنهم لم يعثروا على شـــئ في المرة الاولى، ثم امرهم بمعاودة الحفر والفحص فوجدوا في هذه المرة ما كانوا ينشدونه فغمرتهم الفرحة وحملوا المسمار راسا الى بطرس ثم مضوا به الى ريموند الصنجيلي الذي كان اكثرهم طهرا.(١٠٧)

والعنصـــر الوحيد الذي يجمع هذه الرواية برواية المصـــادر الاخرى هو ربط موضـــوع الحربة مع ريموند الصنجيلي، بصفته الشخص الوحيد الذي آمن بالمسألة واحتفظ بالأثر المقدس لديه. وذكر ريموند ولاشـــك مرتبط بانه ســـوف يتحول لاحقا الى مدافع عن حقوق الامبراطور الكسيوس في انطاكيا وانه سوف يسجن على أيدي تانكرد نتيجة ذلك.(١٠٨)

بينما نجد ان رواية المصادر الصليبية تتحدث عن شئ مختلف كليا فالأثر المقدس هو الحربة المقدســة، اي تلك الحربة التي اخترقت جسـد السـيد المسـيح (عليه السـلام) وهو على الصـليب. ومن جانب آخر فان المصـادر الصـليبية تتحدث عن شـخص اسمه بطرس بارثلوميو الذي هو من شـــاهد الرؤى وهو من اكتشـــف مكان الحربة،(١٠٩) فيبدو ان أنّا قد التبس لديها

الخبر بين بطرس الناسك وبطرس بارثلوميو، الفلاح.(١١٠) ولا تقدم أنّا اي تفاصيل عن موضوع الحربة، خلافا للمصـــادر العربية التي جاءت بعد ذلك بفترة طويلة من الزمن كما هو الحال لدى ابن الاثير الذي يتحدث عن كان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم : إن السيد المسيح (عليه السلام) كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم، فإن وجدتموها فانكم تظفرون. وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وغطى اثرها وأمرهم بالصـوم والتوبة، ففعلوا ذلك ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضـــع جميعهم، ومعهم عامتهم والصـــناع منهم، وحفروا في جميع الأماكن فوجدها كما ذكر، فقال لهم أبشـــروا بالظفر.(١١١) واتهام بطرس بارثلوميو بانه هو من دفن الحربة هو ايضـــا رجع صـــدى لما ذكرته المصـــادر الصـليبية التي نبهت بأن الزعيم الروحي للحملة الاسـقف ادهيمر لي بويه الذي كان ممثلا للبابا فيها، قد رفض مزاعم بطرس واتهمه بالكذب.(١١٢) ويؤكد ذلك المؤرخ المعاصر ستيفن رنسيمان حينما يعقب على الحادثة بقوله:

"وإذا حاولنا أن نحكم على حقيقة ما حدث فســـتكون المحاولة عقيمة، فقد تم تنظيف الكاتدرائية مؤخرا لاعادة تكريسـها لخدمة الرب، وربما شـارك بطرس بارثلوميو في هذا العمل بعد عودته الى انطاكيا فهو لم يكشـــف مطلقا عن تاريخ هذه العودة، وبذا تتوفر لديه الفرصـــة لدفن قطعة الحديد تحت الارضية.(١١٣)

ثم تأتي المواجهة الحاســمة مع كربوقا، فبعد الحماس الكبير الذي خلقته قصـــة الحربة المقدسـة وبعد الاوضـاع القاسـية التي عاشـها الصـليبيون داخل انطاكيا لم يتبق امامهم سـوى الحرب، والمواجهة النهائية مع كربوقا. ورواية أنّا بالغة الاختصـــار فهي تتحدث عن خروج الصـــليبيين من باب سـري من ابواب انطاكيا واصـطفافهم امام قوات كربوقا، وان كونت فلاندر اصـبح في طليعة هذه القوات مع ثلاثة من رفاقه، وإنه ترجل عن جواده وهجم على قوات كربوقا، فأثار الرعب في قوات الأتراك الذين فروا قبل ان تنشـــب المعركة. وتعزو ذلك الى العنـاية الالهية.(١١٤)

اما المصادر الصليبية فقد حفلت بتفاصيل اكبر بكثير من الرواية المختصرة التي قدمتها المؤرخة البيزنطية، فيتحدث المؤرخ المجهول عن سفارة قام بها بطرس الناسك الى معسكر كربوقا من اجل الانكار على المســـلمين ان يقاتلوا الصـــليبيين وان يعود جيش كربوقا الى بلاده لان انطاكيا بالأصـل هي من املاك المسيحيين.(١١٥) ويؤيد الشـارتري ماذكره المجهول حول سفارة الناسـك، ويقول ان الهدف منها ان تقتصـر المعركة على عدد محدود من الفرسـان ومن ينتصـر يحتفظ بالمدينة لنفسه.(١١٦) بينما لا يتحدث الاجيلي عن هذه السفارة. وبالمقابل فان ابن الاثير يتحدث عن سـفارة قام بها الصـليبيون قبل المعركة بعد ان امضـوا اثنا عشـر يوما ليس لهم ما

يأكلونه، فارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليسلموه انطاكيا ويخرجوا منها، وانه رد عليهم لا تخرجون الا بالسيف.(١١٧)

ويتفق الشارتري مع ماذكرته أنّا بأنه لم تحدث معركة فعلية بين المسلمين والصليبيين وان قوات كربوقا سرعان ما انسحبت من المعركة ولم تصمد في مواجهة الهجمة الصليبية، ولم يقع قتال فعلي بين الجيشين.(١١٨) وهذا ما يؤيده المؤرخ ابن الاثير في قوله: وتمّت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحدٌ منهم بسيف، ولا طعن برمح، ولا رمى بسهم"(١١٩)

اما المصادر العربية فتوضح بأن موقف كربوقا كان مضطربا بسبب الانشقاقات التي حدثت بين قادته وإنه ارتكب جملة من الأخطاء فأغضب الأمراء وأساء التعامل معهم. فهرب من المعركة الى الموصل وهرب ايضا الامراء.(١٢٠)

وهكذا انتهى الخطر الاسلامي وعاد الصليبيون الى قلعة انطاكيا وتسلموها من القائد التركي احمد بن مروان، ورفعوا اعلامهم فوقها. ولا تقدم أنّا كومنينا بعد استيلاء الصليبيين على انطاكيا تفاصيل ذات قيمة فيما يخص بقية الحملة، ولا يشغل منها استيلائهم على القدس الشريف اكثر من جملتين او ثلاثة فتقول ان حصار المدينة استغرق شهرا كاملا، فلما استولوا عليها فتكوا باغلب من كان بها من المسلمين واليهود، ثم وضعوا مقالد الامور في يد جودفري البويوني ونصبوه ملكا عليهم.(١٢١) ومما لا شك فيه انها لم تعد معنية بالصليبيين بعد مغادرتهم انطاكيا، فكلما ابتعد الصليبيون عن محور موضوعها الاصلي وهو والدها ضعف اهتمامها وقلت معلوماتها وافتقدت الدقة.

الخلاصة والاستنتاجات:

١- يحتل كتاب الكسياد للمؤرخة البيزنطية الاميرة أنّا كومنين اهمية كبيرة بين المؤلفات التاريخية في العصور الوسطى، فقد كتبته امرأة على قدر عال من الثقافة وارخت فيه لوالدها الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، بطريقة لا يضارعها فيها احد بسبب صلتها الوثيقة بالموضوع وشهاداتها للعيان واطلاعها على الاراشيف الامبراطورية واتصالها بالاشخاص الذين شاركوا في الحوادث التاريخية

٢- من الموضوعات المهمة التي شغلت هذه المؤرخة الحملة الصليبية الاولى، فقد عاصرت هذه الحملة، وقدمت لنا شهادة مهمة حول مسير هذه الحملة وعلاقة الامبراطور البيزنطي بقادتها، الذين وصفت شخصياتهم بطريقة لافتة للنظر

٣- امتازت أنّا بانها قدمت وجهة النظر البيزنطية فيما يخص الحملة الصليبية الاولى والعلاقات الصليبية- البيزنطية، فقد كانت المصادر الصليبية هي المهيمنة على التصورات الاوربية

عن الحروب الصليبية، فجاء كتاب الكسياد كتصحيح للكثير من المواقف التي قدمتها المصادر الصليبية التي ناؤت البيزنطيين العداء وشوهت صورتهم امام القراء الغربيين

٤- وبالمقابل فان هذه الاميرة مع زعمها بأنها ستقدم الحقيقة التاريخية بدون تحيز فان ميلها الواضح باتجاه إبيها والدولة البيزنطية جعلها تتخذ موقفا معاديا من بعض القادة الصليبيين وعلى رأسهم بوهيمند الاول النورماني، فكانت صورته لديها يغطيها السواد

٥- تصدت أنا كومنين للدفاع عن والدها ودحض الاتهامات الصليبية له بأنه خان اتفاقه معهم في القسطنطينية عام ١٠٩٨.وبينت بأن الغدر ونكث العهود قد جاء من الطرف الصليبي، وتحديدا من بوهيمند الذي رفض اعادة انطاكيا الى الكسيوس حسب الاتفاق.

٦- لا تقدم أنا كومنينا عرضا وافيا للحملة الصليبية فاهتمامها بها يقتصر بالدرجة الاساس على ما ارتبط بالامبراطورية البيزنطية، فروايتها للحوادث التي اعقبت استيلاء الصليبيين على انطاكيا ومسيرهم نحو مدينة القدس واستيلائهم عليها وما تلى ذلك من حوادث كلها لا تشغل من كتابها الا اسطر قليلة، وتحفل بالأخطاء في التفاصيل وترتيب الحوادث زمنيا.

الهوامش:

١ فؤاد عبد الرحيم الدويكات، "الألكسياد مصدرا لدراسة تاريخ سلطنة سلاجقة الروم ٤٦٣هـ-٥١٢هـ/١٠٧١-١١١٨م،" مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٢٠، م٣٥، ع٢، ص٢٧١.

٢ انا كومنينا، الكسياد للمؤرخة اليونانية أنا كومنينا، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤)، ص ١٥

٣ نفسه، ص ٦٣٢-٦٣٤

٤ نفسه، ص ١٥

٥ الدويكات، "الألكسياد"، ص ٢٧٢..

٦ أنا كومنينا، الكسياد، ص ٢٩.

٧ جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في المرب الصليبية الاولى،(بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١)، ص٢٣

٨ الدويكات، سلاجقة الروم، ص ٢٧٩-٢٨٠.

٩ نفسه، ص ٢٨٠-٢٨١.

١٠ يوسف، العرب والروم، ص ٢٤.

١١ فتحية عبد الفتاح النبراوي، "حياة الامبراطور الكسيوس كومنينوس كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي في القرن الثاني عشر الميلادي" المجلة التاريخية المصرية، ١٩٨١، م٢٧، ص ٤٥.

١٢ ارنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني،(بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.)، ط٢، ص ١٩٥

١٣ أنّا كومنينا، الكسياد، ص ٢٥.

١٤ نفسه، ص ٢٨.

١٥ نفسه، ص ٢٦.

١٦ نفسه، ص ٢٦.

١٧ نفسه، ص ٢٥-٣٠

١٨ نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد،(القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠)، ص ٣٦١

١٩ أنّا كومنينا، الكسياد، ص ١٥٥.

٢٠ نفسه، ص ١٥٥.

٢١ عبد العزيز رمضان، بيزنطة والحروب الصليبية، (القاهرة، دار الفكر العربي، د ت)، ص ٢٠

٢٢ روبرت جويسكارد(١٠١٥-١٠٨٥) مغامر نورماني استطاع ان يستولي على ينتزع صقلية من ايدي المسلمين وجنوب ايطاليا من ايدي البيزنطيين، واصبح دوقا لمناطق كالابارياوابوليا. جمال الدين فالح الكيلاني، في التاريخ الاوربي الوسيط، (القاهرة، مكتبة المصطفى، ٢٠١١)، ص ٣٩-٤٢.

٢٣ عمر كمال توفيق، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧)، ص ١٤١-١٤٢

٢٤ أنا كومنينا، الكيساد، ص ٦٣٦-٦٣٩.

٢٥ نفسه، ص ٣٨٨.

٢٦ نفسه، ص ٣٨٨

٢٧ نفسه، ص ٣٨٨.

٢٨ يوسف، العرب، ص ١٢٦-١٢٧.

٢٩ باركر، الحروب، ص٢٣.

٣٠ حسن حبشي، الحرب الصليبية الاولى،(القاهرة، دار الفكر العربي، د ت)، ص ٢٨-٣٠

٣١ يوسف، العرب، ص ٥٢-٥٣

٣٢ انّا كومنينا، الكسياد، ص ٣٨٧

٣٣ باركر، الحروب الصليبية، ص ١٨٨-١٩٠؛ بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبدة قاسم،(القاهرة، دار المعارف،١٩٧٩)، ص ١٢٧-١٤١.

٣٤ يوسف، العرب، ص ٥٥

٣٥ قدم المؤرخ البريطاني ستيفن رنسيمان افضل وصف لجهود الكسيوس وموظفيه في ترتيب اجتياز الصليبيين للأراضي البيزنطية، وعكس الجهود المضنية التي بذلوها لتحقيق ذلك

ستيفن رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين غانم، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤)، ط٢، ج١، ص ٢٧٦-٢٧٨.

٣٦ أنا كومنين، الكسياد، ص ٣٨٩.

٣٧ ريموند أجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، (القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩)، ص ٦٦.

٣٨ فتحية عبد الفتاح النبراوي، "حياة الامبراطور الكسيوس كومنينوس كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي في القرن الثاني عشر الميلادي" المجلة التاريخية المصرية، ١٩٨١، م٢٧، ص ٤٧.

٣٩ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص٢٧٧-٢٧٨.

٤٠ نفسه، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣.

٤١ يوسف، العرب، ص١٧٩.

٤٢ أنا كومنينا، الكسياد، ص ٤٠١

٤٣ نفسه، ص ٣٩٩-٤٠٠

٤٤ المؤرخ المجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٨)،ص٣٥

٤٥ أنا كومنينا، الكسياد، ص ٤٠٢.

٤٦وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١)، ج١، ص١٦٠

٤٧ النبراوي، "حياة الامبراطور"، ص ٤٧.

٤٨ أنا كومنين، الكسياد، ص ٤٠٧.

٤٩ نفسه، ص ٤٠٨

٥٠ نفسه، ص ٥٢٧.
٥١ نفسه، ص٥٢٨.
٥٢ نفسه، ص ٥٢٧.
٥٣ نفسه، ص ٥٢٨
٥٤ نفسه، ص ٥٢٨.
٥٥ نفسه، ص ٥٢٨
٥٦ النبراوي، حياة الامبراطور، ص ٤٨.
٥٧ رنسيمان، تاريخ، ج٢، ص ٧٩.
٥٨ أنا، الكسياد، ص ٤٠٩
٥٩ نفسه، ص ٤١٠.
٦٠ نفسه، ص ٤١٠.
٦١ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٢٦٨.
٦٢ المجهول، اعمال الفرنجة، ص ٣٢.
٦٣ أجيل، تاريخ، ص ٧٤.
٦٤ رنسيمان، تاريخ، ج٢، ص ٦٣-٦٥.
٦٥ محمد صالح الزيباري، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، (دمشق، دار دجلة، ٢٠٠٩)، ص ٧٤-٧٥.
٦٦ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٢٨٩.
٦٧ أنّا كومنينا، الكسياد، ص ٤١٥-٤١٦.
٦٨ نفسه، ص ٤٢٠
٦٩ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٢٨٩-٢٩٠
٧٠ اجيل، تاريخ، ص ٧٨.
٧١ المؤرخ المجهول، اعمال، ص٣٧.
٧٢ الصوري، تاريخ، ج١، ص ٢٢٠
٧٣ حبشي، الحرب الصليبية، ص ٣٩-٤٠
٧٤ باركر، الحروب الصليبية، ص٣٤
٧٥ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٢٩٤-٢٩٥
٧٦ الزيباري، سلاجقة، ٢٥٩-٢٦٠
٧٧ أنا كومنينا، الكسياد، ص ٤٢٤.
٧٨ رنسيمان، تاريخ،ج١، ص٣٥٠
٧٩ الصوري، تاريخ، ج١، ص ٢٢٨، ٢٣٠-٢٣٢.
٨٠ طلب صبار محل، رواية آنة كومونين عن حصار أنطاكية بين المصادر العربية والأجنبية" مجلة كلية الاداب -جامعة بغداد، ٢٠٠٨، م٧٦، ص ٤٢٧.
٨١ حبشي، الحرب الصليبية، ص ٦٦.
٨٢ محل، " رواية آنة"، ص ٤٣٣.

٨٣ أنّا كومنينا، الكسياد، ص ٤٢٥-٤٢٨، ٤٣٢-٤٣٣، ٤٣٥-٤٣٦.

٨٤ نفسه، ص ٤٣٣.

٨٥ نفسه، ص ٤٢٥

٨٦ نفسه، ص ٤٢٥.

٨٧ نفسه، ص ٤٢٦

٨٨ بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم،(القاهرة، دار المعارف، د ت)، ط٢، ص١٤١

٨٩ المجهول، أعمال الفرنجة، ص ٥٣.

٩٠ نفسه، ص ٥٧

٩١ نفسه، ص ٥٦.

٩٢ نفسه، ص٦٨.

٩٣ نفسه، ص ٧٧-٧٨.

٩٤ نفسه، ص ٧٩

٩٥ نفسه، ص ٩٦.

٩٦ نفسه، ص٨٩.

٩٧ أجيل، تاريخ، ص ٩١.

٩٨ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص٤٩٣

٩٩ نفسه، ج٢، ص ٦٣

١٠٠ أجيل، تاريخ، ص ١١٨

١٠١ نفسه، ص ١١٩.

١٠٢ الشارتري، تاريخ، ص ١١٥.

١٠٣ نفسه، ص ١٢٤.

١٠٤ كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)،ج١، ص٢٣٩

١٠٥ ابو يعلى حمزة بن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق،(بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص ١٣٥.

١٠٦ ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص

١٠٧ انا كومنين، الكسياد، ص ٤٣٥.

١٠٨ وليم الصوري، تاريخ، ج٢، ص٢٥٤.

١٠٩ أجيل، " تاريخ"، ص ١٣٥.

١١٠ محل، " رواية آنة كومونين" ص ٤٤٤.

١١١ عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ج٨، ص٤١٩.

١١٢ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص٣٧٩.

١١٣ رنسيمان، تاريخ، ج١، ص٣٧٩

١١٤ أنا كومنينا، الكسياد، ص ٤٣٦.

١١٥ المؤرخ المجهول، اعمال الفرنجة، ص ٩٢.

١١٦ الشارتري، تاريخ، ص

١١٧ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص ٤١٩

١١٨ الشارتري، تاريخ، ص ١٢٢

١١٩ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص ٤١٩.

١٢٠ محل، " رواية آنة"، ص ٤٤٤.

١٢١ آنا كومنين، الكسياد، ص٤٦٣.

المصادر:

١. ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧).
٢. أجيل، ريموند، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، (القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩).
٣. باركر، ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني،(بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.)، ط٢.
٤. بينز، نورمان، الامبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد،(القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠).
٥. توفيق، عمر كمال، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧)
٦. حبشي، حسن، الحرب الصليبية الاولى،(القاهرة، دار الفكر العربي، د ت).
٧. الدويكات، فؤاد عبد الرحيم، "الألكسياد مصدرا لدراسة تاريخ سلطنة سلاجقة الروم ٤٦٣هـ-٥١٢هـ/١٠٧١-١١١٨م،" مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٢٠، م٣٥، ع٢.
٨. رمضان، عبد العزيز، بيزنطة والحروب الصليبية، (القاهرة، دار الفكر العربي، د ت).
٩. رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤)، ط٢.
١٠. الزيباري، محمد صالح، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، (دمشق، دار دجلة، ٢٠٠٩).
١١. سمالي، بيريل، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبدة قاسم،(القاهرة، دار المعارف،١٩٧٩).
١٢. الشارتري، فوشيه، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة قاسم عبده قاسم، (القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠١).
١٣. الصوري، وليم، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١).
١٤. ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله، زبدة الحلب في تاريخ حلب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦).
١٥. ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة بن أسد، ذيل تاريخ دمشق،(بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨).
١٦. كومنينا، أنّا، الكسياد للمؤرخة اليونانية أنا كومنينا، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤).
١٧. الكيلاني، جمال الدين فالح، في التاريخ الاوربي الوسيط، (القاهرة، مكتبة المصطفى، ٢٠١١).
١٨. محل، طلب صبار، رواية "آنة كومونين عن حصار أنطاكية بين المصادر العربية والأجنبية" مجلة كلية الاداب –جامعة بغداد، ٢٠٠٨، م٧٦.
١٩. المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٨).
٢٠. النبراوي، فتحية عبد الفتاح، "حياة الامبراطور الكسيوس كومنينوس كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي في القرن الثاني عشر الميلادي" المجلة التاريخية المصرية، ١٩٨١، م٢٧.

٢١.يوسف، جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في المرب الصليبية الاولى،(بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١).

22. Al-Duwaikat, Fouad Abdel Rahim, "The Alexiad is a source for the study of the history of the Seljuk Sultanate of Rome 463 AH-512 AH/1071-1118 AD," Mutah Journal for Research and Studies, Human and Social Sciences Series, 2020, vol. 35, p. 2.
23. Al-Kilani, Jamal Al-Din Faleh, In Medieval European History, (Cairo, Al-Mustafa Library, 2011.)
24. Al-Nabarawy, Fathia Abdel-Fattah, "The Life of Emperor Alexios Komnenos as a Source of History of Relations between the Islamic East and the Christian West in the Twelfth Century AD," The Egyptian Historical Journal, 1981, Vol. 27.
25. Al-Zibari, Muhammad Salih, The Seljuks of Rum in Asia Minor, (Damascus, Dar Tigris, 2009(
26. Anonymous Historian, : Gesta Francorun: The Works of the Franks and the Pilgrims of Jerusalem, (Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1958).
27. Charter, Foulcher, The Crusader Settlement in Palestine, translated by Qassem Abda Qassem, (Cairo, Dar Al-Shorouk, 2001)
28. Habashi, Hassan, The First Crusade, (Cairo, Dar al-Fikr al-Arabi, N.D)
29. Ibn al-Adim, Kamal al-Din Omar Ibn Ahmad Ibn Hebat Allah, Zubdat Al-Halab fi tarikh Halab, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1996.(
30. Ibn al-Atheer, Izz al-Din Ali Ibn Abi al-Karam Muhammad, al-Kamil fi al-Tarikh, Edit. by Omar Abdel Salam Tadmuri, (Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 1997)
31. Ibn al-Qalansi, Abu Ya'la Hamza bin Asad, The History of Damascus, (Beirut, The Jesuit Fathers Press, 1908).
32. Komnina, Anna, The Alxiad of the Greek Historian Anna Komnina, translated by Hassan Habashi, (Cairo, Al- The High Council of Culture, 2004).
33. Parker, Ernst, The Crusades, translated by Al-Baz Al-Araini, (Beirut, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, N.D), 2nd ed.
34. Runciman, Steven, A History of the Crusades, translated by Noureddine Khalil, (Cairo, Egyptian General Book Authority, 2004), 2nd ed.
35. Smalley, Beryl, Historians in the Middle Ages, translated by Qassem Abda

Qassem, (Cairo, Dar Al Maaref, 1979).

36. Tawfiq, Omar Kamal, History of the Byzantine Empire, (Cairo, Dar Al-Maaref, 1967).

37. Tyre, William, The Crusades, translated by Hassan Habashi, (Cairo, Egyptian General Book Authority, 1991)

38. Youssef, Joseph Naseem, Arabs, Romans and Latins in the First Crusade, (Beirut, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, 1981).

39. -Agiler, Raymond, The History of the Franks, the Conquerors of Jerusalem, translated by Hussein Muhammad Attiya, (Cairo, University Knowledge House, 1989.

40. -Baynes, Norman, The Byzantine Empire, translatd by Hussein Mu'nis and Mahmoud Youssef Zayed, (Cairo, Press of the Composition, Translation and Publishing Committee, 1950)

41. -Mahal, Talab Sabbar, "Riwayat Anna Komunin on the Siege of Antioch between Arab and Foreign Sources" Journal of the College of Arts - University of Baghdad, 2008, p.76.

42. -Ramadan, Abdel Aziz, Byzantium and the Crusades, (Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi, N.D).